

التقديم والتأخير وأثره في المعنى في شعر صدام فهد الأسدي

الباحثة. زينب رياض مشمول أ.د. عادل راضي جابر

كلية التربية الأساسية / جامعة سومر

zr.mashm3@gmail.com

الملخص

لا شك أن اللغة العربية تزخر بفنون بلاغية متنوعة ، فكل لفظة لها مكانها الخاص، كما أن الجملة لها رتب دلالية محفوظة، وقد تتغير هذه الرتب للدلالة على معنى يقصده المتكلم، لهذا عدّه الجرجاني باب كثير الفوائد جمّ المحاسن، ولأن التقديم والتأخير في عناصر الجملة يقدم أغراض بلاغية دقيقة لا يمكن الحصول عليها على أصل التركيب النحوي، فاللغة العربية لا تلتزم الحتمية في ترتيب أجزاء جملها، وينتج عن هذا ما يسمى بالمعنى والدلالة ، فالمعنى لا يختلف سواء قدمنا أو أخرنا، بينما يحدث التغير في الدلالة، وهذا ما نجده في شعر الشاعر صدام فهد الأسدي إذ وظف التقديم والتأخير في شعره ليسهم في تحقيق أغراض بلاغية متعددة أضفت على الشعر أبعاد دلالية وجمالية في المبنى والمعنى معاً.
الكلمات المفتاحية: (التقديم والتأخير، علم المعاني، شعر صدام فهد الأسدي).

The effect of fronting and backshifting on meaning in the poetry of Saddam Fahd Al-Asadi

Zainab Riyadh Mashmoul

Prof. Dr. Adel Radhi Jaber

College of Basic Education, University of Sumer, Iraq

zr.mashm3@gmail.com

Abstract:

There is no doubt that the Arabic language is rich in diverse rhetorical arts. Every word has its specific place, and every sentence has its established semantic order. This order may change to convey a meaning intended by the speaker. For this reason, Al-Jurjani considered it a field of great benefits and abundant merits. Because the fronting and backshifting of sentence elements serve precise rhetorical purposes that cannot be achieved through the original grammatical structure, the Arabic language does not adhere to a fixed order in the arrangement of its sentence parts. This results in what is called meaning and connotation. The meaning does not change whether we front or back the elements, while the connotation does. This is what we find in the poetry of the poet Saddam Fahd Al-Asadi, who employed

fronting and backshifting in his poetry to contribute to achieving multiple rhetorical purposes, adding semantic and aesthetic dimensions to his poetry in both form and meaning.

Keywords: (Presentation and delay, semantics, poetry of Saddam Fahd Al-Asadi).

المقدمة

يطرأ على الجملة في اللغة العربية تغيير في بنائها النحوي وترتيب عناصرها، وهو ما يعرف بالتقديم والتأخير "ومن سنن العرب تقدم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم، وتقدم بعض أجزاء الجملة في شعر صدام فهد الأسدي على بعض ليس رغبة في التغيير فقط دون هدف، فالكلام البليغ لا يجوز فيه التقديم لغرض لفظي فقط، بل يكون مع هذا التغيير في ترتيب عناصر الجملة هدف يتعلق بدلالة المعنى.

تعريف المصطلح وبيان أهميته

وبما أن البحث يتعلق بعناصر الجملة فلا بد من تحديد ما هي الجملة؟

تعريف الجملة

استعمل (المبرد ت ٢٨٥هـ) مصطلح (الجملة) في كتابه (المقتضب) في باب الفاعل، فقال: ((إنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب)) (المبرد، ١٩٩٤، صفحة ١/١٤٦).

وتتقسم الجملة إلى:

أولاً: الجملة الإسمية: تبدأ بالاسم.

ثانياً: الجملة الفعلية: وتبدأ بالفعل.

وتخضع الجملة العربية لنظام نحوي صارم ويسمى (بالترتيب النحوية المحفوظة) ومن ((الواضح أن الجملة الإسمية في اللغة العربية لا تشتمل على معنى الزمن فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند ولا تشير إلى حدث ولا إلى زمن فإذا أردنا أن نضيف عنصراً زمنياً طارئاً إلى معنى هذه الجملة جئنا بالأدوات المنقولة عن الأفعال وهي الأفعال الناسخة فأدخلناها على الجملة الإسمية فيصبح وصف المسند إليه بالمسند منظورا إليه وجهة زمنية

معينة)) (حسان، ١٩٩٤، صفحة ١٩٣) وكذلك الفرق بينهما فمن ذلك قولنا "قام زيد"، وإن زيدا قائم، فقولنا: [قام زيد] معناه الإخبار عن زيد بالقيام، وقولنا: [إن زيدا قائم] معناه الإخبار عن زيد بالقيام إلا أن في الثاني زيادة ليست في الأول، وهي توكيده بأن المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها، وإذا زيد في خبرها اللام، فقولنا: [إن زيدا قائم]، كان ذلك أكثر توكيدا في الإخبار بقيامه، وهذا مثال ينبني عليه أمثلة كثيرة من هذا النوع فما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤] (الخطيب القزويني، ٢٠٠٢، صفحة ٢٣٤)

مفهوم التقديم لغة

وما وجدته في المعاجم العربية من تعريف لجذر التقديم وهو "قدم" وهو ما يبطأ عليه الإنسان من لدن الرسغ فما فوق، والقدمة والقدم أيضاً: الساقة في الأمر، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] أي سبق لهم عند الله خير، وللكافرين قدم شر، وتقول: القدم: المضي أمام وتقول يمضي قدما، أي لا ينثني. وقدم يقدم وقديمة: تصغير قدام، وهو خلاف وراء.

والقدم ضد الآخر بمنزلة قبل ودبر ومقدم نقيض مؤخر (الفراهيدي، دون تاريخ، الصفحات ٣٦٦-٣٦٧ مادة ض ق).

أما التأخير لغة

آخر تقول: هذا آخر وهذه أخرى، والآخر والآخر: نقيض المتقدم والمتقدمة ومقدم الشيء ومؤخرة، وجاء فلان أخيراً، أي بأخرة، وبعته الشيء بأخرة، أي بتأخير، وفعل الله بالآخر، أي بالأبعد، والآخر: نقيض القدم تقول: مضى قدما، وتأخر أخراً (الفراهيدي، دون تاريخ، صفحة ٦٠٤/٣ مادة أ خ).

وورد في أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تعريف آخر: "ويقال آخر: وجاءوا عن آخرهم، والنهار يخر عن آخر فاخر، والناس يردلون عن آخر فاخر، والسترة مثل آخره والرجل

مضى قدما وتأخر، آخر وجاء في اخريات الناس وجئت اخيرا وبأخرة" (الزمخشري، ٢٠٠٥، صفحة ٦٦٧ مادة أخر).

أما تعريف التقديم والتأخير اصطلاحاً: فقد قال سيبويه في باب "مايحتمل الشعر": ((ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه، لأنه مستقيم ليس فيه نقض فمن ذلك قوله:

صدت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وإنما الكلام: (قل مايدوم وصال)) (سيبويه، ١٩٨٨، صفحة ٢٦/١).

أما السيرافي فيرى: "أن الشاعر ربما يضطر حتى يضع الكلام في غير موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه ويزيله عن قصده الذي لا يحسن في الكلام غيره، ويعكس الإعراب، فيجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً، وأكثر ذلك فيما لا يشكل معناه، فمن ذلك قول الأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لها عند المفاهر إيراد ولأصدد
مثل القنافذ هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

أراد بلغت نجران سوءاتهم أو هجر، وذلك وجه الكلام، لأن السوءات تنتقل من مكان فتبلغ مكاناً آخر والبلدان لا ينتقلن وإنما يبلغن ولا يبلغن (السيرافي، ١٩٩١، الصفحات ٢٠٩-٢١٠).

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) قال في باب التقديم والتأخير: ((هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لايزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنتظر سبب أن راق لك، ولطف عندك، إن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)) (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ١٠٦)

والنظم هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسم الذي رسمت لك، فلا تخل بشيء منه (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ٨١).

المؤيد بالله في كتابه الطراز بحث عن التقديم والتأخير وقسمه إلى أحوال خمس وهما: تقديم العلة على معلولها والتقديم بالذات والتقديم بالشرف والتقديم بالمكان والتقديم بالزمان (المؤيد بالله، دون تاريخ، الصفحات ٥٦/٢-٦٠).

أما الزركشي فقد أضاف لهذه الأسباب ليجعلها خمسا وعشرين سبب وهي:

النوع الأول: ما قدم والمعنى عليه

ومقتضياته كثيرة، قد يسر الله منها خمسا وعشرين وهي: السبق بالزمان والإيجاد، والتقديم بالذات، والتقديم بالعلة والسببية، التقديم بالمرتبة، التقديم بالدعاية، والتقديم للتعظيم، التقديم للشرف، الغلبة والكثرة، سبق ما يستقضي تقديمه، مراعاة اشتقاق اللفظ، للحث عليه خيفة من التهاون، التحقق ما بعده واستغناؤه هو عنه في تصويره، الاهتمام عند المخاطب، للتنبيه على أنه مطلق غير مقيد، للتنبيه على أن السبب مرتب، التنقل، الترقى، مراعاة الأفراد، التحذير منه والتفكير عنه، التعجب من شأنه، التخويف منه، كونه أدل على القدرة، قصد الترتيب، خفة اللفظ، رعاية الفواصل.

النوع الثاني: مما قدم والنية به التأخير

النوع الثالث: ما قدم في آية وأخرى آخر (الزركشي، دون تاريخ، الصفحات ٧٧٠-٨٠٣).

أما التقديم في البناء فقد قسم عبد القاهر الجرجاني التقديم في البناء إلى قسمين:

أولا: التقديم على نية التأخير

وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : "منطلق زيد" و "ضرب عمرا زيدا" معلوم أن "منطلق" و "عمرا" لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه

من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخرجت.

ثانياً: التقديم لا على نية التأخير

ولكن على أن تتقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابيه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا.

ومثال ما تصنعه بزيد والمنطلق، حيث تقول مرة: "زيد المنطلق" وأخرى، "المنطلق زيد" فأنت في هذا لم تقدم "المنطلق" على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير (الجرجاني، ٢٠٠٤، الصفحات ١٠٦-١٠٨).

التقديم والتأخير وأثره في المعنى في شعر صدام فهد الأسدي

الأغراض البلاغية في التقديم والتأخير، نجد أن الشاعر صدام فهد الأسدي استثمر التقديم والتأخير في شعره لإضفاء معان جديدة تختلف عن المعنى الذي يعطيه تركيب الجملة على الأصل، لإثراء المشهد الشعري.

والتقديم والتأخير على نوعين: تقديم في المبنى، وتقديم في المعنى

أولاً: التقديم في المبنى

١- الإستفهام بالهمزة

فرق عبد القاهر الجرجاني بين معنى الاستفهام بالهمزة عن الفعل الماضي والمضارع وبدوره فرق بين المضارع الذي يراد به الحال أو المستقبل، وبين المعنى الذي يستفهم به عن الاسم ولكل استفهام معنى.

فمثلاً الاستفهام عن الفعل الماضي فيقول الجرجاني: "إن موضع الكلام على أن إذا قلت: "أفعلت؟"، فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك في استفهامك أن تعلم وجوده" (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ٨٠).

الشك

نجده في بيتٍ للشاعر صدام فهد الأسدي يقول فيه (الأسدي ف.، ٢٠٢٤، صفحة ١٤٠)
كل النساء بريئة وأراك ظلما تحكمن
أنسيت من تعبت وطول حملك ترعين
سنتين تشربه الرحيق بصدر طيب
يسهرن ترضعن

هل تذكر التعب الكثير وكم عليك تعذبين
الشاعر في البيت الأول في قوله: "كل النساء بريئة وأراك ظلما تحكمن" ، نجد أن ((كل)) افادت معنى إثبات العموم ، أما في الشطر قوله: (ما خلق الجنان بدونهن لسكنن) ، نفى الفعل الماضي، نفى أن يخلق الله الجنة بدون النساء ولم يثبت أن غير الله قد خلق.
أما في البيت الثاني الشاعر استفهم عن الفعل الماضي ((نسيت)) فكان الشك في الفعل والسؤال عن الفعل نفسه، وكان غرض الشاعر أن يعلم أن المخاطب نسي تعب أمه أم لا، فالشاعر متردد وشاك في حصول النسيان لدى المخاطب لتعب الحمل وسنتي الحمل أو أنه لم ينس بعد.

الإنكار

حينما يستفهم عن الفعل المضارع الذي أراد به الشاعر المستقبل فنجد في قول الشاعر صدام فهد الأسدي (الأسدي، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ٤٢)
على أي ذنب تقتل الناس حيدرا
أيقتل من أعطى الرغيف لجائع
أيقتل من أعطى القتال وسامه
أيقتل من يفدي الرسالة بالدم
تصدق حتى في بقية خاتم
إذا هز سيفاً في عصاف مطهم

هنا الشاعر يستفهم عن الفعل المضارع الذي أراد به المستقبل بهمزة الاستفهام، والغرض من هذا الاستفهام هو الإنكار، فالشاعر ينكر ويستنكر قتل الإمام علي (عليه السلام) الذي وصفه بأنه يفدي رسالة النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) بدمه والذي يتصدق على الفقراء،

وكذلك أعطى للناس قاعدة الحرب بالسيف لا الغدر وهذا ما عبر عنه الشاعر ب"أعطى القتال وسامه" وهي استعار مكنية حذف فيها المشبه به (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ١١٦). ويقول الشاعر صدام فهد الأسدي في ابیات أخرى وهي (الأسدي، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ١١٣):

بدأت أزحف حول الباب منطلقا	نبضي توقف مني القلب قد هربا
دمي يجف وما الأمطار ساقية	وقرب بابك يا مولاي قد خصبا
أأتي ضريحك مملوء بأزمнти	وغصتي مزقت في داخلي أربا
أأتي ضريحك ذنبي كاد يسقطني	وحين أرجع منك الذنب قد سحبا

"أأتي ضريحك مملوء بأزمнти" و"أأتي ضريحك ذنبي كاد يسقطني" هنا الاستفهام ليس من أجل إقرار المخاطب، بل أفاد معنى الإنكار إنكار حالته التي هو عليها أي: لا ينبغي أن أتي ضريحك وأنا على هذا الحال، إذن الفعل المضارع أراد به المستقبل.

التقرير عندما يستفهم بالهمزة عن الاسم

نجد في قول الشاعر صدام فهد الأسدي (الأسدي، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ١١١):

أهذا جدكم أم هذا جدي	وقد وضعت أمامهم الطلاب
لماذا تقتلون أبي وعمي	وكيف بقتلهم جدي يهاب

هنا نلاحظ الشاعر يستفهم بالهمزة عن الاسم وهو اسم الإشارة (هذا) فهذا الاستفهام للتقرير بالفاعل والشك به من يكون، فالشاعر يريد إقرار المخاطب بالفاعل هل هو جدكم أم هو جده، وبدأ بـ(جدكم) والبيت يتضمن معنى الإنكار ينكر على المخاطب نسبة جده لهم ولهذا بدأ بـ(جدكم).

وكذا أن الاستفهام بالهمزة على رأي الجرجاني "أما للتقرير بفعل قد كان، وإنكار له لم كان ، وتوبيخ لفاعله عليه" (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ١١٣).

٢- النفي

فصل عبد القاهر الجرجاني في النفي وما يتضمنه من دلالات مختلفة وما يضيفه تقديم اللفظ على المعنى فنجد أن نفي الاسم يعطي دلالة مختلفة عن نفي الفعل وكذلك تقديم الظرف أو تأخيره في حالة النفي وسنتناوله بالتفصيل فيما يلي (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ١٢٤).

ففي نفي الفعل يقول الشاعر صدام فهد الأسدي (الأسدي، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ٢٨):

مَا قَتَلُوكَ حِينَ حَمَلْتَ سَيْفًا وَقَدْ قَتَلُوكَ يَا مُوَلَّيَ غَدْرًا

أداة النفي (ما) عند دخولها على الفعل تنفي وقوعه، فهنا الأسدي نفى وقوع القتل في حالة حمل الإمام للسيف ولم يثبت أنه قتل بغير طريقة، لكن استدرك المعنى في الشطر الثاني حيث أكد تحقيق مقتله غداً بأداة التحقيق (قد).

وكذلك في بيت آخر نفى فيه الاسم يقول فيه: (الأسدي، (إني مُهاجِرٌ إلى ربِّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ٢٨):

غداً أموت ويبقى شعري ميتاً علقتَه فوق الجدار احذر
لا الشعر ينفع والعراق سياسة لعبت به القادِمات الأكبر

نفى الشاعر في البيت الثاني (لا الشعر ينفع) الاسم، وهو نفي مقيد وليس مطلقاً أي: الشعر لا ينفع مع سياسة العراق مع احتمال أن تنفع وسيلة أخرى.

وكذلك قوله (الأسدي، (إني مُهاجِرٌ إلى ربِّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ٥٨):

لا تقرأ الشعر دع موتاك صامته لا بد يوما ستلقي قبرك الحتفا
لا ينفع المرء من أيامه سفر مهما يسير تراه الحال قد وقفا

نفى الشاعر الفعل المضارع " لا ينفع المرء السفر " ولم يعرض بأن هناك شيء آخر ممكن أن ينفع المرء .

وهذا الفرق بين نفى الفعل ونفى الاسم، فنفي الفعل أن تنفي الفعل ولم تعرض بشيء آخر، أما الاسم فأنت تنفي الاسم وتعرض بشيء آخر، نفي الاسم أكثر فاعلية؛ لأن نفي الفعل للفعل فقط أما نفي الاسم فنفي للفاعل .

أما تقديم الاسم على أداة النفي يقول عبد القاهر الجرجاني توكيدا للنفي ويكون فيها النفي أشد (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ١١٧)، يقول في هذا الشاعر (الأسدي، (إني مُهاجرٌ إلى ربّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ١٢٢):

أنا ما كتبت وما مسكت بريشة لكنّها القطرات حبك تكتب

ومثله يقول فيه الشاعر صدام فهد الأسدي (الأسدي، (إني مُهاجرٌ إلى ربّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ١٢١):

أنا ما عجت على المسيح تزوره أني لأعجب كبف أفقد مسلما
هل تنكر الأيام قيمة صبره قد كان للأيام صبرا ملهما
باب الحوائج والذي يأتي له من بابه أعطى إليه المغنمى

قدم الشاعر (أنا) على أداة النفي وهذا التقديم ليس عبثا، إنما يتناسب مع السياق والمعنى العام الذي يريد أن يعبر عنه الشاعر، فالشاعر يريد أن ينفي عن ذاته فعل التعجب من زيارة المسلم للمسيح، ومن خلال هذا التقديم كان النفي أشد من تأخيره كما يؤكد ذلك الجرجاني،

وفي الشطر الثاني يؤكد تعجبه بمؤكددين لفقدان المسلم وهو يقصد الإمام موسى الكاظم- عليه السلام- وباب الحوائج صفة من صفاته.

٣-تقديم الظرف وتأخير

يؤكد الجرجاني حكم الجار والمجرور حكم المنصوب، ففي حالة النفي يعني أنك نفيت فقط، أما تقديمه ففيه تفصيل حسب السياق (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ١٢٧)، أما ابن الأثير فقسم التقديم والتأخير إلى ضربين وهما:

الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى. الثاني: يختص بدرجة التقديم في الذكر، لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى.

الضرب الأول ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: يكون التقديم فيه هو الأبلغ.

والآخر: يكون التأخير هو الأبلغ (الأسدي، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ١٠٧). وسنتناول تقديم الظرف وتأخير وإختلاف المعنى في كل منهما.

تقديم الظرف في الكلام المثبت، "تقديمه أولى من تأخير"، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره" (ابن الأثير، دون تاريخ، الصفحات ٢١٠-٢٢٦) وفي هذا أبيات للشاعر صدام فهد الأسدي يقول فيها (الأسدي ص. ٢٠١٣، صفحة ٥٤) :

ومن لبس السواد سبى فؤادي ولي قلب فقد أمسى رمالا
أنا اخترت الجمال بكل شيء وأبقى حائرا القى المثالا

نجد أن الشاعر قدم الظرف "لي" على "قلب" المنكر لتخصيصه به دون غيره.

أما إذا أريد بالكلام النفي، فيحسن فيه-الظرف-التقديم والتأخير وكلا هذين الأمرين له موضع يختص به، أما تقديمه في النفي يقصد به تفضيل المنفي عن غيره، وأما تأخير فإنه يقصد به النفي اصلا من غير تفضيل" (ابن الأثير، دون تاريخ، الصفحات ٢١٠-٢٢٦).

أما تأخير الظرف في النفي في شعر صدام فهد الأسدي فنجده بقوله (الأسدي ف.، (إني مُهاجِرٌ إلى ربِّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ١٥):

عرفت عربوتي لا خير فيها وإن حملت من الغيم الجهام

هنا نجد أن الشاعر نفى الخير عن العروبة دون تفضيل قومية أخرى عليها كالفارسية مثلا، ولو قال: "عرفت عربوتي لا فيها خير" لتبادر في ذهن أن هناك قومية أخرى أفضل من القومية العربية. والمعنى شبيه بالآيتين فسرهما الزمخشري (ت ٤٦٧-٥٣٨) في "الكشاف" قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] وقوله تعالى: ﴿لا فيها غول﴾ [الصافات: ٤٧]، حيث أن في الآية الأولى نفى الريب على سبيل الاستغراق ولم ينف أن لا أحد يرتاب فيه وإنما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له؛ وما في التقديم والتأخير من اختلاف في المعنى بإزاء ترتيب الألفاظ، فلا ريب فيه هي نفي أن يكون ريب في الكتاب، فإن قلت: فهلا قدم الظرف على الريب، كما قدم على الغول في قوله ﴿لا فيها غول﴾

قلت: لأن القصد في إيلا الريب حرف النفي، نفي الريب عنه، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب، ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد، وهو أن كتاب آخر فيه ريب، وقوله: ﴿لا فيها غول﴾ تفضيل خمر الجنة على خمر الدنيا بأنها لا تغتال العقول، كأنه قيل: ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة (الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض لتنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دون تاريخ، صفحة ١٤٥/١).

٤- الخبر المثبت والتقديم فيه يفيد -على رأي الجرجاني- التفرد بالحكم والاستبداد فيه أو التنبيه لإبعاد الشبه في ذهن السامع تمنعه من الإنكار (الجرجاني، ٢٠٠٤، صفحة ١٢٨). وعلى رأي السكاكي فإن تقديم أنا وأنت وهو وهم يفيد تقوية الحكم (السكاكي، ١٩٨٧، صفحة ٤٢٥)، نحو قول الشاعر صدام فهد الأسدي (الأسدي ف.، (إني مُهاجِرٌ إلى ربِّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ٤٠):

حقيقة قسمة الأيام تحكمننا
حتى واثنيت قافيتي لتسعدني
ياما اقول لماذا الدهر يحسدني
هم يحسدون هنا شعري بأمزجة
لذا كرهت دواء الصبر والقدر
بها استقر حريصا من غوى الضجر
أم الأطباء فيقي وارجعي وتري
هم يحذفون بتاريخي على البشر

قدم الشاعر في هذا البيت المسند إليه (هم) على المسند الجملة الفعلية (يحسدون) والأصل يحسدون هم، وفي الشطر الثاني ايضا قدم (هم) على (يحذفون) والقصد من هذا التقديم هو الفاعل، ولم يرد لتفردهم بحسده وحذف تاريخه وهي صفات ملاصقة بهم دون غيرهم، إنما لتقوية حكم الخبر المثبت، والشاعر يريد من هذا الإخبار أن يحقق ويؤكد للسامع أنهم هم من قاموا بهذه الأفعال ، فهذا التقديم منع المتلقي من الشك والإنكار.

نفي العموم

في حال تقدمت أداة النفي على المسند إليه الذي يفيد العموم يكون المعنى (نفي للعموم) يقول الأسدي بيت في قصيدته (بصريتي عين قلادتي) يقدم فيه المسند إليه لنفي الشمول فيقول (الأسدي ص.، ساعلن أميتي غداً، شعر، ٢٠٢١، صفحة ٦٣):

أنت سر مقدس في حياتي
ليس كل الحسان تنزل ارضي
وأتركي لي جهنما من جناني
ولهذا غلبت أنت حساني

نلاحظ أن تقديم المسند إليه (كل) ووروده منفي أفاد معنى أن ليس جميع الحسان تنزل أرض الشاعر، نفي أن تكون كل الحسان تنزل أرضه، بل جزء منها.

عموم النفي

ومن الأبيات التي قالها الأسدي في قصيدته (سيف الشكر) أفادت معنى عموم النفي يقول فيها (الأسدي ص.، ساعلن أميتي غداً، شعر، ٢٠٢١، صفحة ٩):

أسدد القوس كي أرمي به هدفا فيرجع القوس مكسورا من الوتر
كل الذئاب التي في الغاب ترحمني لم تؤذ قلبي ويا خوفي من البشر

هنا الشاعر أراد بتقديم "كل" أن كل الذئاب دون استثناء لم تؤذ قلبه، لكنه خوفه من غدر البشر وهو تعبير عن خيبته حتى توصل إلى أن الذئاب لم تؤذه كما ادّوه البشر .

ثانياً: التقديم في المعنى

أنّ الألفاظ تابعة للمعاني والمعاني لها في التقديم أحوال خمسة:

١ - تقديم العلة على معلولها

وتقديم الكون على الكائنية، السبكي يرى أن الكون هو نفس الكائنية، ويقر بتقديم الأسباب على مسبباتها وهذا نجده بتقديم السراج على ضوئه (المؤيد بالله، دون تاريخ، صفحة ٥٧). ومن الأبيات التي تتقدم فيها السبب على المسبب نجده في بيت للشاعر صدام فهد الأسدي يقول فيه (الأسدي ف.، (إني مُهاجِرٌ إلى ربّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ٤٦):

أنت الوحيدة في البلاد حبيبتي واضعته حبا حما أولادي
يتقاتلون على زوال دنيا قذرة اهات من شجني ومن حسادي

قدم السبب (شجني) على المسبب للشجن وهو (حسادي) فالحاسد يتمنى زوال النعمة عن المحسود وبالتالي يصاب المحسود بالحزن، وبدأ البيت بالفعل (يتقاتلون) دلالة على الاستمرار على هذا التقاتل من أجل دنيا قذرة كما وصفها الشاعر .

وبيت اخر للأسدي يقول فيه (الأسدي ف.، (إني مُهاجِرٌ إلى ربّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة

(١١)

أبن ريبان من مكر سعى وهما ليمنع النسل إذ غالى به الحسد

نجد الشاعر قدم (يمنع النسل) النتيجة أو المعلول أو المسبب على العلة أو السبب (غالى به الحسد) الحسد هو الذي دفع ابن ريبان للسعي إلى منع النسل، والتقديم هذا هو الذي أضفى على البيت جمالية.

٢ - التقديم بالذات

وهو نحو تقديم الواحد على الاثنين على معنى أن الوحدة لا يمكن تحقق الإثنيية إلا بعد سبقها، وليس من باب العلة والمعلول فإن الوحدة ليست علة في الإثنيية (المؤيد بالله، دون تاريخ، صفحة ٥٧).

يقول الشاعر صدام فهد الأسدي في التقديم بالذات (الأسدي ص.، ساعن أميتي غداً، شعر، ٢٠٢١، صفحة ٨٧):

أنا وأهلي عراقيون تسمية ووافدون مع السياح نندرج
إذا درجت أناس الأرض قاطبة ظني العروبة في الأيام تندرج

نلاحظ أن الشاعر قدم ذاته "أنا" على الأهل "أهلي" حيث أن الأهل هم العائلة التي تضم أفراد الأسرة، وبالتالي هو جزء أساسي من أفراد هذه الأسرة، فهنا التقدم على مبدأ أن الأهل كالأم والأب لا يمكن عدهم أهل إلا بجود الأبناء وهو واحد من هؤلاء الأبناء.

ويقول في بيت آخر (الأسدي ف.، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ١٣):
ومثلكم أني أمضي إلى كفني وليس ينفعني أهلي ولا أسد

نجد هنا الشاعر بدأ بذاته وشبهها كباقي البشر تلاقي المصير المحتوم وهو الموت، ولا ينفعه (أهل) ولا (أسد) وهي عشيرة الشاعر صدام فهد الأسدي، وهذا التقديم هو تقديم بالذات بدأ بالفرد (أني) ثم الأهل الذي هو جزء منها ثم العشيرة التي تضم جميع من يحمل لقب بني

أسد، وفي هذا البيت كلمة (أسد) تحمل معنيين أن جهل القارئ لقب الشاعر فسيظن أن أسد هو الحيوان الذي يمتلكه الشاعر والمعنى سيكون لشدة اعتزازه بأهله وأسده ومع كل هذا الحب لكن عندما يموت لا ينفعه الأهل ولا حيوانه الأسد، والمعنى الآخر الذي تدل عليه قرينة وهي (أهلي) أن أسد هي العشيرة التي ينتمي إليها الشاعر وهذا المعنى هو الذي يريده الشاعر.

٣ - التقديم بالشرف

وهو نحو تقديم الأنبياء على الأتباع والعلماء على الجهال وتقديم المعلم على طلبته والرئيس على وزرائه والسادة على العامة (المؤيد بالله، دون تاريخ، صفحة ٥٧). وفي هذا يقول الشاعر صدام فهد الأسدي (الأسدي ف.، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ٣٨):

اسم الرسول محمد وعلينا	اسم البتول بقبة صاحت علي
ولكان في حوض السما في قلبها	حسن لئلا واسم وارثها الولي
تدري بسبطك فالحسين مقدس	ويكون سورك في الجنان سيعتلي

نجد أن الشاعر قدم الرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم) على الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وهم خمسة أصحاب الكساء تشريف الرسالة على الإمامة، أما تقديم الإمام الحسن على الإمام الحسين (عليهما السلام) فما بينهما ليس أفضلية، بل سبق زمني في الإيجاد والإمامة.

٤ - التقديم بالزمان

وهذا نحو تقدم الشيخ على الشباب والأب على الابن، وتقديم السنة على النوم والظلمات على النور (المؤيد بالله، دون تاريخ، صفحة ٥٨) (الزركشي، دون تاريخ، صفحة ٧٧٥).

نستشد ببيت للشاعر صدام فهد الأسدي ومنها (الأسدي ص.، ساعن أميتي غداً، شعر، ٢٠٢١، صفحة ٧٩):

انكر جميلك خل يعوف بثينة واخبر نزارك لا يصوغ كمالا

هنا الشاعر بدأ بذكر جميل بثينة ثم نزار قباني ليس تفضيلاً إنما سبق زمني في الإيجاد.
ومن المعاني التي بحثها الزركشي في التقديم بالمعنى هي:
١- التقديم بالرتبة:

كتقديم سميع على عليم، فإنه يقتضي التخويف والتهديد فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات (الزركشي، دون تاريخ، صفحة ٧٨٠)، يقول الشاعر صدام فهد الأسدي في التقديم بالمرتبة أبيات من قصيدته (مرثية الرسول الأعظم محمد -صل الله عليه واله وسلم-) يقول فيها (الأسدي ف.، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ١٢):

فيها المحبة صارت واعتلى الخلد	هذا النبي وهذي اليوم عترته
مهما اطلالوا عليه الكره أو حقدوا	هذا علي وهل شك بقيمته
إذا المعارف قالت وانتخى السند	يبقى عليا إلى الأزمان عالمها

نجد أن الشاعر قدم الكره على الحقد (مهما اطلالوا الكره أو حقدوا) فالشاعر من خلال هذا التقديم عبر عن مراحل التدرج في مراتب الكره حتى يصل إلى مرتبة الحقد.
٢- الغلبة والكثرة

ومن الأبيات التي قالها الأسدي بقصيدته (تفرد بالبيت العظيم) يقول فيها (الأسدي ف.، أهل البيت ينابيع الدهر، ٢٠٢١، صفحة ١٤):

وقد كان أجدى بالجميع هنا يبكوا	ضحكنا وكان الضحك منا تبطرا
قصور له ابن الفقير زها المسك	نغادرها الدنيا جميعا وقد زهت
وقل لي فهل يبقى الإمارة والترك	يهود مجوس لاعب ثم فائز

۳۹۷

يام عدي والعتاب لمحرج من أين لي سقيا اطرش حصادي

هذا البيت من قصيدة (يا نخلة سقطت وطاح عمادي) يرثي بها الشاعر زوجته في الذكرى الرابعة لوفاتها، نجد أن الشاعر قدم المسند إليه (أربع سنين) على المسند (لن أراك حبيبتي) تشويقاً لذكر المسند، فالمتلقي عند تلقيه الخبر ويبدأ المتكلم بذكر (أربع سنين) يتساءل المتلقي ما حصل خلال هذه الأربع سنين ويتشوق لأن يكمل المتكلم خبره، ففي هذا التقديم تنبيه للمخاطب وتشويق.

٥- تعجيل المساء والمسرة (الخطيب القزويني، ٢٠٠٢، صفحة ٥٥)

يقول شاعرنا الأسدي في قصيدته (قل الحسين وكفى) (الأسدي ف.، (إني مهاجرٌ إلى ربّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ٢١):

اسفي العروبة اليوم باعت قدسنا وحماس ترجعه المصير مشاعا

في الشطر الأول من البيت عجل الشاعر من إظهار إساءته من موقف العروبة المتخاذل بقوله (أسفي)، أما في الشطر الثاني قدم الشاعر المسند إليه (حماس) على المسند (ترجعه المصير) للتفاؤل بحركة حماس التي ستعيد القدس وتعيد معها أمجاد المسلمين التي أضاعها العرب بتخاذلهم.

"وإن كان التقديم بالعلمية فإما لإحضاره بعينه في ذهن السامع باسم يخصه وإما لتعظيمه أو لإهانته كما في الكنى والألقاب المحموده والمذمومة" (الخطيب القزويني، ٢٠٠٢، صفحة ٤٣)

ومن الأبيات التي قالها الأسدي في تقديم المسند إليه -اسم علم- وأفاد معنى استحضاره بعينه يقول فيها (الأسدي ف.، (إني مهاجرٌ إلى ربّي) شعر، ٢٠٢٤، صفحة ٤٥):

أحتاج خيراء المحال تجيني ماذا سأفعل قد يحين حصادي
خيراء رديلي الحياة جميعها والقبر عني مؤجلا بعنادي

خيراء أنت عشت أطيّب واحد لا القى مثلك اخرا بوسادي

نجد أن تكرار خيراء هنا لإبراز أهمية خيراء بالنسبة للشاعر وهي زوجته أم عدي، وبما أن المسند إليه اسم علم من الإحتمالات التي وضعها الخطيب القزويني من تقديم اسم العلم استحضاره بعينه في ذهن المتلقي، وهنا نجد استحضار زوجة الشاعر الأولى دون غيرها.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الشاعر صدام فهد الأسدي وظّف أسلوب أو ظاهرة التقديم والتأخير في شعره إذ لجأ إليه باعتباره أداة تعبيرية تسهم في تغيير المعنى وإبراز الدلالة بما يوافق السياق الشعري، وقد تنوعت صور وأغراض التقديم والتأخير في شعره بين تقديم وتأخير في المبنى وأخرى في المعنى، فأما التي تناولت أنماط التقديم في البنية التركيبية فأهمها: الاستفهام وتقديم الاستفهام على الاسم يراد به التقرير أو الإنكار أو التوبيخ، أما الفعل الماضي فيراد به الشك في حصول الفعل، أما الفعل المضارع الذي تفرع بدوره إلى الاستفهام عن الفعل المضارع إذا أريد به المستقبل فيكون المعنى الإنكار وهكذا. أما النفي فقسمه إلى نفي الفعل فالدلالة على أن المتكلم ينفي الفعل ولم يعرض بشيء آخر، أما نفي الاسم فيعني نفي للفاعل وتعرض بشيء آخر وهو أكثر فاعلية، أما تقديم الاسم على أداة النفي فيكون النفي فيها أشد، وكذلك تقديم الظرف وتأخيره، فمرة يقدم الظرف على النكرة فيفيد الاختصاص، أما تأخير الظرف في النفي عن الفعل فيراد به نفي على سبيل الاستغراق، أما نفي العموم في حال تقدمت أداة النفي على المسند إليه الذي يراد به العموم، أما عموم النفي في حال تقدم المسند إليه الذي يراد به العموم على النفي، مع بيان ما يترتب عن ذلك من آثار دلالية.

وكشفت الدراسة عن كثرة اعتماد الشاعر على توظيف أداة التقديم والتأخير كأداة تعبيرية تهدف إلى تحقيق أغراض بلاغية متعددة تتعلق بالمعنى ومنها: تقديم العلة على المعلول، والقُدَم بالذات والزمان والتشريف والترتبة، وكذلك التقديم الذي يُراد به الدلالة على

الغلبة والكثرة، والحث على المتقدم خوفاً من التهاون به، وكذلك التشويق وتعجيل المساءة والمسرة وتناسب الفواصل، وبذلك يتضح أن الشاعر صدام فهد الأسدي قد وظف عدة أساليب بلاغية وكان أبرزها التقديم والتأخير الذي اسهم في إثراء المشهد الشعري وتحقيق أغراض بلاغية ودلالية متنوعة.

المراجع

القرآن الكريم

١. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (١٩٩٤). المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة
٢. سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قمبر. (١٩٨٨). الكتاب. القاهرة: تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الجانجي، الطبعة ٣.
٣. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي. (٢٠٠٤). دلائل الإعجاز. القاهرة: قرأه وعلق عليه أبو فهد محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، الطبعة ٥.
٤. السيرافي، أبو سعيد الحسين بن عبد الله. (١٩٩١). ما يحتمل الشعر من ضرورة. تحقيق: د. عوض حمد القوزي، الطبعة ٢.
٥. السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي. (١٩٨٧). مفتاح العلوم. بيروت: ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، الطبعة ٢.
٦. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (دون تاريخ). كتاب العين. بيروت: ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.
٧. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (دون تاريخ). البرهان في علوم القرآن. القاهرة: تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث.
٨. حسان، تمام. (١٩٩٤). اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة شارع فكتور هيكو.
٩. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. (٢٠٠٥). أساس البلاغة. بيروت: المكتبة العصرية.

١٠. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. (دون تاريخ). الكشف عن حقائق غوامض لتتزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمود معوض.
١١. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد. (٢٠٠٢). الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع. بيروت: وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، الطبعة ١.
١٢. الأسدي، صدام فهد طاهر. (٢٠١٣). الأعمال الشعرية. بيروت: الديوان الأول، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣. الأسدي، صدام فهد طاهر. (٢٠٢١). ساعن أميتي غداً، شعر. سيدني - استراليا، دمشق - سوريا: مؤسسة المثقف العربي، دار الأمل الجديد.
١٤. الأسدي، صدام فهد طاهر. (٢٠٢١). أهل البيت ينابيع الدهر. دمشق - سوريا: الديوان الثامن، دار أمل الجديدة، الطبعة ١.
١٥. الأسدي، صدام فهد طاهر. (٢٠٢٤). (إني مهاجرٌ إلى ربّي) شعر. بيروت: الديوان العاشر، شركة العارف للنشر والتوزيع، الطبعة ١.
١٦. ابن الأثير، ضياء الدين. (دون تاريخ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، القسم الثانين دار نهضة مصر للطباعة والمشر، الطبعة ٢.
١٧. المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني. (دون تاريخ). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. طهران: منشورات مؤسسة النصر.